مشاهد الصيد من خلال الفسيفساء بلاد المغرب القديم أثناء العهد الروماني

د. محمد بن عبد المؤمن *

عرفت الفسيفساء الرومانية ببلاد المغرب القديم ازدهارا أثناء الاحتلال الروماني، فكانت تصوّر المعتقد الديني، وحقيقة الحياة اليومية، ومختلف الانشطة كالحرث، والبذر، والجني، ومشاهد رياضية، إلى جانب مشاهد الصيد والقنص. نعلم جيدا أن وظيفة الفسيفساء كانت تزيينية، ارتبطت على سبيل الذكر لا الحصر بمشاهد حرث الأرض مثل فسيفساء شرشال بالجزائر المحفوظة بمتحف المدينة[1].

مع نهاية القرن الأول الميلادي تطورت المدرسة الفسيفسائية ببلاد المغرب القديم، والتي تحررت عن التأثيرات الإيطالية والشرقية، فأصبحت تنجز لوحات أصلية، ذات ألوان، وأشكال متعددة، ومع منتصف القرن الثاني الميلادي إلى الثالث منه يمكن اعتبار هذه الفترة بمثابة العصر الذهبي لهذه المدرسة الفسيفسائية[2] ..

كان موضوع الصيد من بين اهتمامات سكان بلاد المغرب القديم أثناء عصور ما قبل التاريخ مثلما تبينه الرسومات الصخرية بالمناطق الصحراوية، الامر الذي دفع بالفسيفسائيين بتبني مواضيع هذه اللوحات الفنية التي نتج عنها إنجاز لوحات ذات قيمة فنية عالية أثناء الفترة الرومانية[3]. وقبل الحديث عن هذه اللوحات يجدر بنا التطرق لمختلف العوامل المحيطة بهذا النوع من النشاط الترفيهي من جهة، والاقتصادي من جهة اخرى.

يعرف في العالم الروماني نوعان من الصيد وهما، الصيد في العالم الطبيعي، ونوع آخر يكون داخل ساحة المدرجات بمشاركة المقاتلين(Gladiateurs)، لكن المصطلح الذي استعمله الرومان لهذان النوعان هو(Venatio)[4]. وابتداء من النصف الأول من القرن الأول الميلادي، اهتمت طبقة الأغنياء من الرومان بضيعاتهم، فأقاموا حضائر الحيوانات التي كانوا يصطادونها، انطلاقا من أصغر مخلوق مثل الحلزون إلى الخنزير، وأنواع أخرى كالأرانب، وسميت هذه الحضائر بـ:(Liporaria)، وفي غياب وسائل التبريد لحفظ لحومها، كانت الحضائر بمثابة

* كلية العلوم الإنسانية جامعة وهران١ الجزائر.

1-Jean – Marie Blas De Roblés et Claude Sintes, Sites et monuments antiques de L'Algérie, édisud Archéologie, Aix en Provence, 2003, p23.

2-Charles Picard (G), L'école africaine de mosaïque, Dossiers d'archéologie, n° 32,1978,pp12-31.

3 - Ennaifer(M), La Chasse dans la mosaïque du IIIe siècles, Dossiers d'Archéologie, n° 31, pp80-92.

4- Jean Trinquier et Christophe Vendries, Partie de chasse chez les romans, L'Histoire, n° 347, Novembre2009, p76.

المنارة للاستشارات
www.

الحافظة للمؤن، تستغل لحومها مباشرة على موائدهم، واعتبر وجودها في هذه الحضائر متعة للنظر، كما وضعوها داخل حدائق حيوانات مثلما كان الحال في عهد الإمبراطور (غورديان الثالث)[٥]. وبالتالي فإن هذه الحيوانات المصطادة ببلاد المغرب القديم قد استغلت للترفيه، والتغذية، وصدّرت لحومها لروما مثل باقي المنتوجات الغذائية المعروفة بالمنطقة، مثل الثلاثية المتوسطية(القمح، والزيت، والخمور).

ارتبطت بالصيد البحري صناعة تحويلية منها صلصة السمك (الغاروم)، التي كانت تصدر لروما، فارتبطت بها كذلك صناعة فخارية لنقلها، وتخزينها كالأمفورات، وانتشر هذا النوع من الصناعة التحويلية على طول سواحل بلاد المغرب القديم، والسواحل الأطلسية للمغرب الأقصى(مقاطعة موريطانياالطنجية).

ويمكن تقسيم هذه المشاهد إلى قسم خاص بالقنص، وآخر بالصيد المائي:

١- القنص:

يصنف ضمن الأنشطة الأكثر، والأقدم انتشارا ببلاد المغرب القديم، كانت تقدم الحيوانات المصطادة من طرف الملوك التّوميد كهدايا لقادة روما، وكثرة الطلب عليها من طرف الرومان الأمر الذي جعل منها حرفة تدري عليهم بأرباح كبيرة[٦]، لذلك نظموا أنفسهم من أجل استغلال هذه الثروة الحيوانية فصدّروها لروما، التي كانت سببا في إسعادهم أثناء المناسبات، والاحتفالات بالمدرجات، والمسارح، وحدائق الحيوانات، فأصبحت مع النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد الممون الأساسي الأول لها[٧].

لم تبرز مشاهد القنص على الفسيفساء فقط، بل تشير الشواهد الأدبية القديمة لهذا النشاط، على سبيل الذكر لا الحصر المؤرخ الروماني (بلينوس الكبير- Pline L'Ancien) في كتابه التاريخ الطبيعي[٨]، وضمن الدراسات التاريخية لبلاد المغرب القديم منها دراسة المؤرخ الفرنس (ستيفان غزال- Stéphane. Gsell)الذي خصص

5-Bertrandy (F), Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du nord et l'Italie(IIe siècle avant J.C., IVe ap. J.C.), Mélanges de l'école française de Rome, Antiquité, T.99,N°1.1987.p230.

٦- البضاوية بلكامل، مظاهر اقتصادية من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، القسم الأول، فيدبيرانت، الرباط، ٢٠٠٣ ، ص١٦٥.

7-Bertrandy (F),Op. Cit, p213.

8-Pline L'Ancien, Histoire Naturelle texte établi traduit par Désanges,Les belles –lettres Paris

المنارة للاستشارات
www.

منه ضمن الجزء الخامس للثروة الحيوانية التي يزخر بها هذا الربوع[٩]، كما ساهمت الرسومات الإيكونوغرافية في التعريف بهذا النشاط ببلاد المغرب القديم[١٠].

كانت تنقل هذه الحيوانات بعد اصطيادها داخل أقفاص، التي صنعت وفق أحجام، وخطورة كل حيوان، وتبين إحدى اللوحات الفسيفسائية (قرطاجة- درمش) بتونس ، يعود تاريخها لبداية القرن الرابع الميلادي لمشهد اصطياد ونقل الحيوانات داخل إحدى الأقفاص التي استعملت كفخ لاستدراج لبؤة[١١]، وتبين اللوحة الفسيفسائية المعروفة باسم فسيفساء منزل(إسغونتوس-Isguntus) بعنابة (الشرق الجزائري) التي يعود تاريخها لبداية القرن الرابع الميلادي لمشهد صيد وقفص، هذا الأخير يبدو محاطا بشبكة صيد، تحث مراقبة صيادين[١٢].

نقلت الحيوانات المصطادة داخل الاقفاص باتجاه موانئ قصد توجيهها لروما، وطريقة تحميلها يمكن اختصارها في النقاط التالية:

- كانت توضع الاقفاص على عربات تجرها الثيران، أو البغال[١٣].
- كانت تحمل أقفاص الحيوانات من طرف الرجال بواسطة أعمدة توضع على اكتافهم[١٤].
- في بعض الحالات كانت تترك الحيوانات داخل الشباك التي اصطيدت بها، مثا الخنازير[١٥].

تتم عملية نقل الحيوانات باتجاه روما عبر سفن شحن من نوع (الهيباجوس- Hippagogus)، مثلما تصوّره اللوحة الفسيفسائية بـ: (ألتيبيروس- Althiburos)بتونس، التي تعود للنصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، حمّلت على ظهرها احصنة الجيش الروماني، بينما يوحي مشهد هذه اللوحة أن الاحصنة المحملة على هذا النوع من السفن ، والقادمة من بلاد المغرب القديم كانت مخصصة للسباقات، ومطلوبة في ألعاب السيرك[١٦].

يذكر المؤرخ الروماني(بلينوس الكبير)أن رحلة عبور السفن المحملة بالحيوانات من موانئ بلاد المغرب القديم باتجاه (أوستي–Ostie) قد تدوم يومين

9-Gsell (S), Histoire Ancienne de l'Afrique du nord ancienne, T V, pp100-137.

10 -Dunbabin,(K.M), The Mosaics of the Roman northafrika, studies in iconogrqphyqndpqtronqgem oxford 1978.

11-Bertrandy (F),Op. Cit,a1.

12-Ibid, p216.

13- Ibid, p 219.

14- Bertrandy (F),Op. Cit, p219.

15- Carandini(A), Ricci(M), De Vos(M), Filosofiana, La Villa de Piazza Armerina, imagine di un aristocratico romano al tempo di costantino, Palerme, 1982.

16- Bertrandy (F),Op. Cit, p223.

المنارة للاستشارات
www.

كاملين[١٧]، وكان الناقلون للحيوانات تجاه روما يختارون الوقت المناسب للملاحة، خوفا من هلاك، وضياع استثماراتهمنتيجة تقلبات الجو، وهيجان البحر[١٨].

ويذكر أنّ سكان بلاد المغرب القديم هم الذين كانوا يرافقون حمولاتهم من الحيوانات باتجاه روما، ونعلم أن الملوك النوميد كانت بين أيديهم كل الوسائل المادية لإيصال هذه الحيوانات إلى روما، كما يحتمل أيضا وجود وسطاء رومان، أو معتوقين هم الذين تكلفوا بهذه المهمة.

وبالتالي يلاحظ ان مختلف مشاهد القنص ببلاد المغرب القديم كان لها تأثيرا على مخيلة الفسيفسائيين الذين جسدوها على اللوحات الفسيفسائية بروما، والشأن نفسه ببلاد المغرب القديم التي سنحاول ذكر نماذج منها في الجدول التالي:

رقم اللوحة	نوع الحيوانات	البلد	المصدر
1	الأرانب البرية	الجم- تونس- بمتحف باردو	Fradiet. (G), Mosaïques romaines de Tunisie, éd, Cérés, Tunis, 1976, p98.
٢	أرنب - ثعلب	أودنة – بتونس	Ibid, pp104-105
٣	صيد الخنازير بالشباك	متحف باردو. بتونس	Ibid, pp94-95
4	خنزير - فهد	الشلف – محفوظة بمتحف الآثار القديمة- بالجزائر	Jean Marie Blas De Robles et Claude Sintes, Sites et monuments antiques de l'Algérie, édisud Archéologie, Aix-en-Provence, 2003,p79
5	حيوانات وحشية: أسود- فهود- خنازير-غزال	متحف جميلة- بالجزائر	Ibid, p124

17- Pline l'Ancien, HN, XIX,4.

18 -- Bertrandy (F),Op. Cit, p226.

المنارة للاستشارات
www.

6	أرانب	خنقة الحجاج – متحف باردو بتونس	Ibid, p 108
7	الخروج والعودة من القنص	المتحف الوطني بقسنطينة – بالجزائر	Jean Marie Blas De Robles…., p142.
8	محاصرة الأسود والفهود	متحف عنابة بالجزائر	Lancel . (S), L'Algérie antique De Massinissa à Saint Augustin,éd, Place des victoires, Paris, 2008, pp178-179.
9	حيوان وحشي	خنقة الحجاج- متحف باردو- تونس	Fradiet. (G), Mosaïques romaines de Tunisie, p112.

يلاحظ من خلال النماذج المذكورة غنى بلاد المغرب القديم بالحيوانات التي كانت تستغل لحومها في التغذية، والاخرى التي كانت تصدر لوما من اجل التسلية داخل المدرجات، والسرك، كما كانت تقدم البعض منها قربانا للآلهة، وبالتالي كانت هذه الحيوانات مصدرا تجاريا هاما لسكان بلاد المغرب القديم.

٢ - الصيد المائي:

نتيجة إشراف بلاد المغرب القديم على البحر الابيض المتوسط، وسواحل المحيط الأطلسي، جعل من حرفة الصيد البحري أمرا طبيعيا، ويذكر أن عدد فسيفساء الصيد البحري قد بلغ قرابة ٤٩ نموذجا، منها ٤٥ نموذجا وجدت بمنازل الخواص وحماماتهم، وارتبطت بحرفة الصيد صناعة الغاروم(صلصة السمك)[١٩].

تنوعت اساليب الصيد البحري، منها الشاطئية بوسائل تقليدية، أو بواسطة الشباك، او على ظهر الزورق، أما الثروة السمكية، فهي متنوعة من أصغر مخلوق بحري كالقواقع، إلى أكبر حجم كالمحار، والسمك الكبير، كما ظهر الصيادون في وضعيات مختلفة وهم يزاولون عملهم، إما على ظهر الزورق، أو على الشاطئ، أو عند رميهم الشبكة. وتعددت مجالات استغلال هذه الثروة السمكية في الغذاء، وفي مجال الطب.

١٩البضاوية بلكامل، المرجع السابق، ص ١٩٣.

المنارة للاستشارات
www.

والجدول التالي يبين نماذج من اللوحات الفسيفسائية ببلاد المغرب القديم التي خصّت عملية الصيد البحري:

اللوحة	الموقع	المصدر
١٠	متحف سوسة- تونس- صيادي الاسماك	Fradiet. (G), Mosaïques romaines de Tunisie, pp118-119
11	متحف باردو - تونس-	Ibid, p 125
12	منزل الفسيفساء - واليلي- المغرب	بضاوية بلكامل، المرجع السابق، ج٢،٤٥٦
13	متحف باردو - تونس- مشهد صياد على متن قارب.	Fradiet. (G), Mosaïques romaines de Tunisie, p120
14	فسيفساء غلال البحر- متحف باردو- تونس	Ibid, p 122
15	الصيد بالقصبة- متحف باردو-	Ibid, p 123Ibid, p 122

يستخلص من هذا البحث أن طبيعة بلاد المغرب القديم أثرت في الفن الفسيفسائي حيث أن مشاهد القنص والصيد البحري ماهي سوى حقيقة للواقع الاقتصادي والنشاط الخرفي والثروات الطبيعية التي كانت مصدر طمع الرومان ، فهي مصدر غذائهم، وترفيههم، وقرابينهم. فعالم الطبيعة والبحر كان مصدر دخل لسكان بلاد المغرب القديم والرومان .

المنارة للاستشارات
www.

اللوحات:

اللوحة ١

صيد الأرانب – الجم
متحف باردو -تونس

اللوحة ٢

مشهد صيد لثعلب و أرنب
متحف باردو - تونس

المنارة للاستشارات
www.

اللوحة ٣

فسيفساء صيد الخنازير
متحف باردو- تونس

اللوحة ٤

فسيفساء مشاهد صيد القرن الرابع ميلادي
المتحف الوطني للآثار القديمة - الجزائر

المنارة للاستشارات
www.

اللوحة ٥

فسيفساء رحلة الصيد الكبرى
متحف جميلة - الجزائر

اللوحة ٦

فسيفساء صيد الأرانب
متحف باردو - تونس

المنارة للاستشارات
www.

اللوحة ٧

فسيفساء مشهد صيد القرن الرابع ميلادي
المتحف الوطني قسنطينة - الجزائر

اللوحة ٨

فسيفساء محاصرة الفهود والأسود
متحف عنابة - الجزائر

المنارة للاستشارات
www.

اللوحة ٩

فسيفساء مشهد صيد
خنقة الحجاج - متحف باردو - تونس

اللوحة ١٠

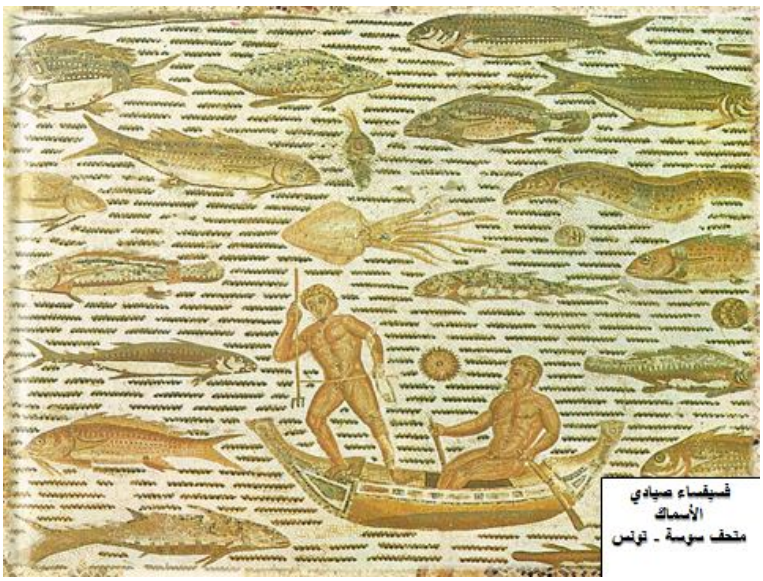

فسيفساء صيادي
الأسماك
متحف سوسة - تونس

المنارة للاستشارات
www.

اللوحة ١١

قسيفساء الأسماك و البط
متحف باردو - تونس

اللوحة ١٢

مشاهد صيد , منزل القسيفساء , وليلي - المغرب

المنارة للاستشارات
www.

اللوحة ١٣

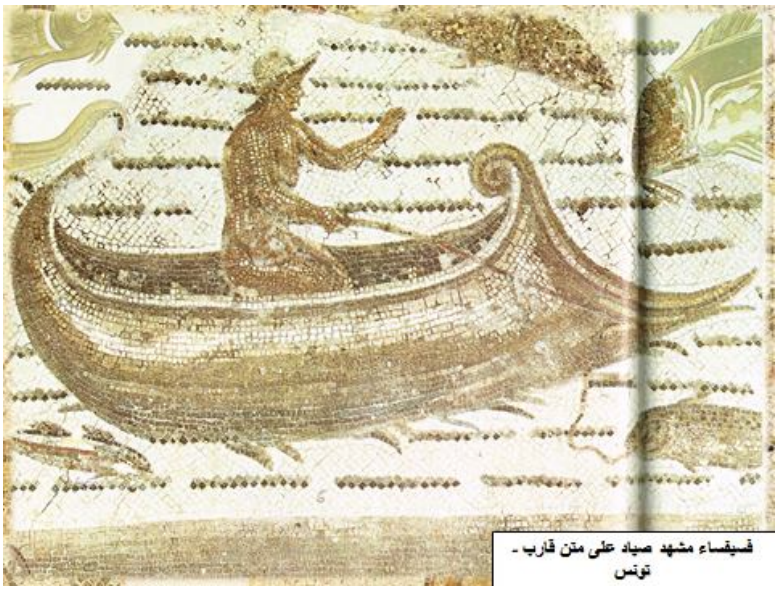

فسيفساء مشهد صياد على متن قارب - تونس

اللوحة ١٤

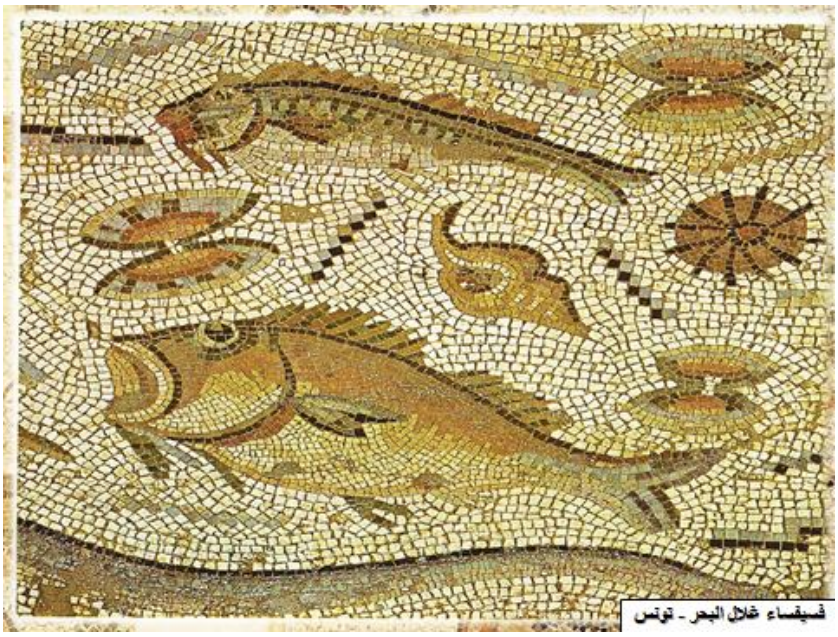

فسيفساء خلال البحر - تونس

المنارة للاستشارات
www.

اللوحة ١٥

صياد سمك على الشاطئ يمسك بقصبته
دقة - متحف باردو - تونس

المنارة للاستشارات
www.